عقيدة إيمان المسيحيّين الشّرقيّين

إنّ سرّ حضور الله بيننا هو من وقائع حياتنا. وقد اختبر أناس كثيرون هذا السرّ منذ البدء حتّى يومنا هذا، فأمعنوا النّظر فيه وحاولوا أن يعبّروا عنه بالكلام البشريّ . هذا ما نسمّيه "اللّاهوت". فرأت الكنيسة في بعض هذه المؤلّفات تعبيرًا أصيلاً لخبرتها عن الله. وهذا ما نسمّيه عقائد الكنيسة. وهي بمثابة معالم تشير إلى الطريق الصّحيح الذي يُفضي بنا إلى الله. وفي ما يلي سنورد مختصرًا مفيدًا للتّعاليم الكنسيّة الجوهريّة.

سرّ الله

لا أحد يستطيع أن ينفُذ إلى سرّ الله ، أي إلى حياته الذاتيّة، لأن ذلك يفوق طاقة العقل البشريّ على الإدراك. هو قدّوس. هو فريد. هو كامل. ولا شبيه له. كل ما نستطيعه هو أن نفترض أنه أكمل وأقدس وأصدق وأبهى من كلّ ما نعرفه من هذه الصّفات. أمّا ما هو الله، فلا نعلم لأنّه يفوق كلّ ما نستطيع أن نختبره عن الوجود. وكما جاء في الليترجيّا الإلهيّة: "هو الإله الذي لا يفي به وصف، لا يحدّه عقل، لا يُرى، لا يُدرَك."

وممّا قاله القدّيس هيلاري الذي عاش في بْوَاتْيِيه (فرنسا الحاليّة) في القرن الرابع :"لا يجوز لنا أن نستعمل أي صورة بشريّة في معرض الكلام عن الله، كأن نتخيّله جالسًا على عرش وواضعًا قدميه على وسادة. فعرشه وموطئ قدميه هما قدرته التي لا تعرف الحدود، بل تشمل كلّ شيء، لأن الكون كلّه في قبضته. والصّوَر التي نستعيرها من المخلوقات للكلام عن الله ترمز إلى أن الله موجود فيها وخارجها، يتخلّلها ويتعالى عنها. فهو يفوق الخلق ومع ذلك يكمن فيه." (مقولته في الثّالوث).

الله يكشف ذاته

غير أنّ الله المتعالي عنّا قد افتقدنا وكشف لنا شيئًا عن ذاته. وكلّ مَن يتأمّل في روائع هذا الكون يرأى فيه قدرة الخالق الذي أبرأ كلّ شيء بكلمته. كما أننا نرى قبَسًا منه إذا نظرنا بنوع خاص إلى البشر الذين خلقهم على صورته ومثاله. ولكنّ أوضحَ صورة لله نجدها في ما نسمّيه بالوحي الإلهيّ لأنّنا تلقّينا هذا الوحي مباشرة منه، إذْ كشف لنا ذاته بملء حرّيته لنشاركه في حياته الإلهيّة.

فقد ألّف الله الشعب العبريّ وخاطبه بواسطة القضاة والملوك والكهنة والأنبياء. فغذّاه وحماه وحرّره وأحبّه وأدّبه وعاقبه وغفر له. وعلّمه أنّه الله وحده وأنّه رحيم ووفيّ لوعوده. وأظهر لنا ذاته مبيّنًا ليس فقط أنّه قدّوس، بل أيضًا أنّه أبٌ لنا.

الله يعمل في المسيح

وقد بلغت الآيات التي تشير إلى حضور الله ومحبّته أوجها بمجيء ابن الله يسوع المسيح إلى العالم . "لقد أحبّ الله العالم حتّى إنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة."(يوحنا 3: 16) فحياة السيّد المسيح وموته وقيامته هي أسمى تعبير للوحي الإلهيّ، لأنّنا في المسيح نشاهد الله،

محبّ البشر، يُخلي ذاته لأجلنا. وفي المسيح نرى الربَّ الظّافر الذي قهر الموت، ووهب الحياة للقابعين في قبر الانفصال عن الله. كما نرى فيه ملكَ المجد، كاملَ الحياة والاقتدار، وواحدًا مع أبيه السّماوي: إنّه خاتمة الوحي الإلهيّ النّهائي لنا نحن البشر.

الروح القُدس :الله معنا

وفي ختام الرّسالة التي جاء بها المسيح إلى الأرض، وعد أتباعه بأنّه سيرسل إليهم واحدًا آخر يحلّ محلّه و يقيم معهم إلى الأبد: "روح الحقّ المنبثق من الآب"(يوحنا 15: 26).وقد حلّ هذا الرّوح على الكنيسة يوم الخمسين (العنصرة)، ولا يزال باقيًا معنا ليضمَن لنا الملكوت الآتي. إنّه قدرة الله العاملة بيننا. إنّه الرّوح القدُس "مصدر المواهب كلّها. هو الذي أوحى إلى الأنبياء وتمّم الكهنوت. هو الذي وهب الحكمة للأمّيّين وحوّل الصيّادين المساكين إلى فقهاء حكماء. ومنه تستمدّ الكنيسة تنظيمها الإلهيّ." (نشيد غروب العنصرة).

الثالوث الأقدس

وهكذا يتّضح أنّ الله الذي لا يُدرَك قد افتقدنا حبًّا لنا، فكشف لنا أنه الآب والابن والرّوح القدس.

فكانت هذه أعمق خبرة لنا عن الله، إذ كشفَت لنا جانبًا عن حقيقة الحياة الإلهيّة كان يستحيل علينا أن نصل إليه وحدنا. من هنا يتبيّن أنّ الله واحد في ثلاثة. إنّه واحد في الجوهر و الكينونة، واحد في عمله وقدرته، لكنه ثالوث في شخصيّته. وقد تكلّم آباء الكنيسة في هذا السرّ الإلهيّ فسمّوه الثّالوث الأقدس. وبهذه الشّركة المقدّسة بين الآب والابن والرّوح القدس يدعونا الله إلى الاشتراك في حياته. كما يرى الآباء القدّيسون أنّ الله بهذا الكشف أتاح لنا إلقاء نظرة على طبيعته كالواحد الأوحد الذي لا يُدرَك ومكّننا من التّوق إلى أُلفته.

الكنيسة

وهذه الألفة مع الثّالوث القدّوس مُتاحة لنا بواسطة الكنيسة، أي جماعة الذين دعاهم الله لأن يكونوا شعبه.فالرّوح القدس هو استمرار لحضور المسيح بيننا. أمّا الكنيسة فهي جسد المسيح. إنّها استمرار لحضوره الملموس في العالم. الكنيسة هي إذًا هيكل الله، الهيكل الذي يقيم فيه الرّوح القدس، تمامًا كما أنّ الجسد البشريّ هو المحلّ الذي تقيم فيه الرّوح البشريّة.

وقد جعل المسيح من كليهما جسدًا واحدًا. وعليه فالذي يعيش في رومة يرى في الذين يعيشون في الهند أعضاءً له. فهل في العالم اتّحاد مثل هذا؟ أمّا المسيح فهو رأس هذا الجسد الشّامل." (يوحنا الذهبيّ الفم – العظة 61)

عقيدة إيمان

المسيحيّين الشّرقيّين

مكتب الخدمات التربوية
لأبرشيّة نيوتن الملكيّة
http://mekite.org/

حقوق الطبع والنشر محفوظة للصور
من مجلة صوفيا، مجلة أبرشية نيوتن الملكية

التأله

أعظم هبة نلناها من الله هي المشاركة في حياته الإلهيّة. فبهذه الهبة "صرنا شركاء في الطّبيعة الإلهيّة. " (2 بطرس 1: 4) وقد بدأت هذه المشاركة عندما تعمّدنا. فإن نحن عشنا عيشة إيمان، تأصّلت فينا تلك المشاركة وأفضت بنا إلى التألّه. هذا العمل الإلهيّ يستمرّ فينا طوال حياتنا وبعد مماتنا حتّى يوم القيامة العامّة. حينئذ سنشارك في قيامة الحياة بأجسادنا النّاهضة من الموت وأرواحنا فنتمجّد مع الله. "نعلم أنّنا، إذا ما ظهر، سنكون أمثاله، لأننا سنعاينه كما هو ." (1 يوحنّا 3: 4)

والدة الإله

وفي عبادتنا، نخصّ السيدة مريم العذراء بإكرام فريد. وهذا ليس مجرّد عادة تقويّة. فالكنيسة تكرّمها لأنها والدة الإله. والكنيسة باستعمالها هذا التعبير، إنّما تؤكّد اثنين من أركان الإيمان المسيحي:أ- أنّ يسوع المسيح الذي حملَته هو حقًّا ابن الله المتجسّد المقيم بيننا كإنسان حقيقيّ.ب- أنّ رحلتنا إلى التألّه ، التي باشرناها عندما وافقت مريم العذراء على رسالة الملاك (لوقا 1: 48)، قد تحقّقت فيها.لهذا السبب نجد الإيقونة التي تمثّلها والمسيح الطّفل في حضنها مرسومةً على الجدار الشّرقي في جميع كنائسنا البيزنطيّة. وكأنّي بهذه الإيقونة قائمة بين السّماء والأرض، لتذكّرنا أنّ الله والجنس البشريّ اتّحدا في شخص المسيح بواسطة السيّدة العذراء.

يتّضح ممّا قدّمنا أننا اختبرنا كيف كشف الله عن ذاته وأشركنا بطبيعته الإلهيّة. من هنا كرامتنا ومجدنا وفرحنا. وهنا يكمن جوهر الرّسالة المسيحيّة، تلك البشرى التي نعلنها على الملأ حينما نتعمّد، ثمّ نكرّرها كلّما تلَونا قانون الإيمان النّيقاويّ. ذلك هو لبُّ إيمانا ومصدر ثقتنا بأنّ الله سيتمّ ما بدأه فينا، إذْ يقودنا خطوة خطوة إلى مزيد من الأُلفة معه.

ويسمّى الآباء الكنيسة "شركة الرّوح القدس" وهي الأُلفة التي تُتيح لنا الاتّحاد بالله في مشاركة إلهيّة. وعليه فانّ رسالتنا ككنيسة، أي الهدف من وجودنا، هو "أن نُشيد بأعمال الله العجيبة" (1 بطرس 2: 9) أي أن نكون شهودًا للمحبّة التي كشفها الله للأنام. نحن أعضاء في الكنيسة وبالتّالي جزء من جسد المسيح، متّحدون معه بلا انفصام في الثّالوث. إنّنا الحجارة الحيّة التي بها يُبنَى هيكل الله. هنا تكمن حياتنا كلّها.

الأسرار المقدّسة

وهذه الحياة نعيشها على وجوه مختلفة، منها الأسرار المقدّسة التي يقودنا إليها الرّوح الحيّ.وما السرّ إلّا صلاة من وضْع الكنيسة، نسأل الربّ بها أن يحوّل أداة طبيعيّة إلى وسيلة إلهيّة لتقديسنا بنعمته المخلِّصة. ولأنّ هذه الصّلاة ألّفتها الكنيسة باسم المسيح فهي مستجابة لا محالة. مثلا: الماء هو من العناصر الطبيعيّة. لكن عندما تباركه الكنيسة بصلاة تستعيد فيها موت الربّ وقيامته، فإنّه يصبح أداة لإنشاء علاقة خاصّة بيننا وبين المسيح
(سرّ المعموديّة).

وكذلك الخبز والخمر عنصران طبيعيّان. لكن عندما تستدعي الكنيسة الرّوح القدس عليهما ونتناولهما، نتّحد جسديًّا بالمسيح (سرّ الإفخارستيّا أو القربان المقدّس). وكذلك القول في سائر الأسرار المقدّسة التي وضعت الكنيسة لكل منها صلاة خاصّة، وبها يتحوّل كلّ جانب من جوانب حياتنا إلى وسيلة لتمجيد الله الذي دعانا إلى المشاركة في حياته الإلهيّة.

> المسيح خبز الحياة. فمن يتناول الحياة لا يقوى عليه الموت...فهلمّوا كلوا واشبعوا من خبز الحياة. هلمّوا اشربوا من ينبوع الحياة. هلمّوا إليه واستنيروا فهو النّور. هلمّوا إليه وتحرّروا، فحيثما كان روح الله كانت الحرّيّة."
> (القدّيس أمبروسيوس الميلانيّ، تفسير المزمور 118)